فماذا تغني عنهم قال جبير بن نفير فلقيت عبادة بن الصامت فقلت الا
تسمع ما يقول ابو الدرداء فاخبرته بالذي قال فقال صدق ابو الدرداء
لو شئت لاخبرتك باول علم يرفع من الناس الخشوع يوشك ان تدخل
المسجد الجامع فلا ترى فيه خاشعا وخرجه النسائي من حديث جبير بن
نفير عن عوف بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وفي حديثه فزعا
صلى الله عليه وسلم ضلالة اليهود والنصارى على ما في ايديهم من كتاب الله
قال جبير فلقيت شداد بن اوس فحدثته بحديث عوف فقال صدق الا
اخبرك باول ذلك يرفع الخشوع حتى لا ترى خاشعا وخرج الامام احمد نحوه
من حديث زياد بن لبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر شيأ فقال ذاك
عند اوان ذهاب العلم فذكر الحديث وفيه قال اوليس اليهود والنصارى يقرؤن
التوراة والانجيل لا يعملون بشيء مما فيهما ولم يذكرا بعد هذا ففي هذه
الاحاديث ان ذهاب العلم بذهاب العمل به وان الصحابة فسروا ذلك بذهاب
العلم الباطن من القلوب وهو الخشوع وكذا روي عن حذيفة انه اول
ما يرفع من العلم الخشوع فان العلم علمان كما قال الحسن العلم علمان علم
على اللسان فذاك حجة الله على ابن آدم وعلم في القلب فذاك العلم النافع
وروي عن الحسن مرسلا عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم عن
ابن مسعود قال ان اقواما يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع
في القلب فرسخ فيه نفع فالعلم النافع هو ما باشر القلب فأورث فيه
معرفة الله تعالى وعظمته وخشيته واجلاله وتعظيمه ومحبته ومتى
سكنت هذه الاشياء في القلب خشع فخشعت الجوارح كلها تبعا لخشوعه
وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اني اعوذ
بالله من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع وهذا يدل على ان العلم الذي
لا يوجب الخشوع للقلب فهو علم غير نافع وروي عنه صلى الله عليه وسلم
انه كان يسئل الله علما نافعا وفي حديث آخر قال سلوا الله علما نافعا
وتعوذوا بالله من علم لا ينفع واما العلم الذي على اللسان فهو حجة
الله

الله على ابن آدم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن حجة لك او عليك
فاذا ذهب من الناس العلم الباطن بقي الظاهر على الالسنة حجة ثم يذهب
هذا العلم الذي هو حجة بذهاب حملته ولا يبقى من الدين الا رسمه فيبقى
القرآن في المصاحف ثم يسري به في آخر الزمان فلا يبقى منه في المصاحف ولا
في القلوب شيء ومن هنا قسم من قسم من العلماء العلم الى باطن وظاهر
فالباطن ما باشر القلوب فاثمر لها الخشية والخشوع والتعظيم والاجلال
والمحبة والانس والشوق والظاهر ما كان على اللسان فيه تقوم الحجة
الله على عباده وكتب وهب بن منبه الى مكحول انك امرء قد نصبت
بما ظهر من علم الاسلام شرفا فاطلب بما بطن من علم الاسلام محبة وزلفى
وفي رواية اخرى انك كتب اليه انك قد بلغت بظاهر علمك عند الناس منزلة
وشرفا فاطلب بباطن علمك عند الله منزلة وزلفى واعلم ان احد المنزلتين
تمنع من الاخرى فاشار وهب بعلم الظاهر الى علم الفتاوى والاحكام و
الحلال والحرام والقصص والمواعظ وهو ما يظهر على اللسان وهذا
العلم يوجب لصاحبه محبة الناس له وتقدمه عندهم فحذره من
الوقوف عند ذلك والركون اليه والالتفات الى تعظيم الناس ومحبتهم
فان من وقف مع ذلك فقد انقطع عن الله وانحجب بنظره الى الخلق عن
الحق واشار بعلم الباطن الى العلم الذي يباشر القلوب فيحدث لها
الخشية والاجلال والتعظيم وامره ان يطلب بهذا المحبة من الله والقرب
منه والزلفى لديه وكان لكثير من السلف كسفيان الثوري وغيره تقسيم
العلماء الى ثلاثة اقسام يقولون عالم بالله عالم بامر الله ويشيرون بذلك
الى من جمع بين هذين العلمين المشار اليهما الظاهر والباطن وهؤلاء
العلماء وهم الممدوحون في قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا
الى قوله ويزيدهم خشوعا وقال كثير من السلف ليس العلم كثرة الرواية
ولكن العلم الخشية وقال بعضهم كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)